

## التفاعل الاجتماعي في الضواحي: حالة العائلات التيارية المهاجرة إلى سيدي البشير

خيراني نور الدين

باحث دائم في المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كراسك، وهران - الجزائر.

### مقدمة:

تحتل الأسرة أهمية كبيرة في الدراسة السوسيو-أنثروبولوجية، باعتبارها منظومة اجتماعية، حيوية، ضرورية، منتجة للقيم والمعايير الاجتماعية. هذه الأخيرة تستمد قوتها من منظومة ثقافية ورمزية معينة. كما تمثل بذلك المرحلة الأولى في التنشئة الاجتماعية للفرد، وذلك باكتسابه لسلوكات واتجاهات تتناسب مع الأدوار الاجتماعية المحددة له، حتى يتكيف مع القيم والمعتقدات الخاصة بالمجتمع الذي تنتمي إليه. كما أنها تشكل ذلك النموذج المرجعي للأفراد، حيث "تصبح العلاقات الأسرية في صفتها الرسمية ترمي إلى أن تصبح المقياس الذي تبنى على أساسه وتقيم كل علاقة اجتماعية"<sup>(1)</sup>.

لا يندرج موضوع دراستنا ضمن ميدان علم الاجتماع المهجر، ولا إلى ميدان علم الاجتماع الأسري حيث أن "عمل حول الأسرة يبقى عملا طويلا" فعلى الرغم من استفادتنا أثناء قيامنا بهذا الدراسة على بعض جوانب هذين الميدانين، إلا أننا ركزنا في موضوع بحثنا حول دراسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين (Genre) هذه الأخيرة تشير إلى تلك الاختلافات الاجتماعية والثقافية للأدوار والوظائف الناتجة عن التنشئة الاجتماعية للجنسين، فهي "إنتاج اجتماعي، فالجسم البشري يتعرض لقوى اجتماعية تشكله أو تعده بأكثر من طريقة"<sup>(2)</sup>. وذلك في مقابل مفهوم الجنس الذي يشير إلى الاختلافات البيولوجية بين الذكر والأنثى.

تعد دراسة موضوع العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، موضوعا علميا، ضمن نطاق المواضيع الجديدة، والمسكوت عنه، والمواضيع الحساسة والتي تتطلب من الباحث المزيد من الحذر والدقة أثناء الدراسة.

وفي هذا السياق، تظهر أهمية دراسة الاختلاف في العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ضمن إطار التغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات المعاصرة بصورة عامة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص. فالاختلاف يولد المعاني ويخلق الدلالات وذلك "لما كان المجتمع يقدم على الأفراد أي على الرجال والنساء فقد مثل الاختلاف بين الجنسين الذكور والإناث النواة المركزية"<sup>(3)</sup>. وبعبارة أخرى تشكل العلاقات الاجتماعية ما بين الجنسين ذلك المنتج الثقافي والاجتماعي الذي يتجاوز التصنيف الجنسي، وفي هذا الصدد يرى Joan .W. Scott بأن: " (... ) النوع (Genre) يزودنا بوسيلة

تختبر أشكال معينة تأخذ بعين الاعتبار التنظيم الاجتماعي في الاختلاف الجنسي (...)"<sup>(4)</sup>

حاولنا من خلال دراستنا، الكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، وذلك من خلال التطرق إلى التقسيم الجنسي للعمل فيما يخص العمل المنزلي بالنسبة للنساء والعمل خارج المنزل بالنسبة للرجال، وذلك لأن "انقسام المجتمع إلى ذكور وإناث أمر طبيعي لا يختلف حوله أثنان، ولكن المختلف حوله هو الوظائف وتوزيع الأدوار المترتبة عن ذلك الانقسام. فهذه الوظائف لا شك متأثرة من تصورات ثقافية (...)"<sup>(5)</sup>. بالإضافة إلى محاولتنا التطرق إلى التقسيم الجنسي للفضاء بنوعيه الذكوري والأنثوي، فهذه الفضاءات محكومة بمجموعة من القواعد المحددة لكل جنس. وهنا تلعب الأسرة دورا رئيسيا في هذا التقسيم حيث تحدد السلوكات والمواقف الخاصة بالذكور والإناث في الفضاء الاجتماعي، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها كل منهما.

لا يمكن فهم التمثلات والممارسات التي ترتبط بالعلاقات الاجتماعية بين الجنسين بصفة عامة، وسيورة بناء الأنوثة والذكورة على وجه الخصوص إلا بالتطرق لدور الأسرة في ذلك.

أولا: بعض الدراسات السابقة حول العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في المجتمع الجزائري:

كل هذه العوامل جعلت الاهتمام بموضوع العلاقات الاجتماعية بين الجنسين يتوسع، ولكن قبل التطرق للحديث عن دراستنا الميدانية، لا بد من الإشارة لأهم الدراسات الميدانية في المجتمع الجزائري. وفي هذا الصدد اعتمدنا في موضوعنا على دراستين هما:

تتمثل الدراسة الأولى في ذلك العمل الميداني الذي قام به عادل فوزي (Adel Faouzi) من خلال أطروحته الدكتوراه حول "تكوين الرابطة الزوجية والنماذج الأسرية الجديدة في الجزائر" (1990)، ركّز فيها على دراسة التمثلات والممارسات الخاصة بالأزواج أثناء سيرورة تكوين الرابطة الزوجية وبرز النماذج الأسرية الجديدة في المجتمع الجزائري. اعتمد هذا الباحث في عمله الميداني على المنهج الكيفي (L'approche qualitative) من خلال تحليل عميق لممارسات الفاعلين الاجتماعيين من خلال بعدي الوقت والجيل (Le temps et la génération). تميّزت دراسة عادل فوزي بالتنوع والثراء في المعطيات المنهجية والميدانية، حيث توصل من خلالها إلى تصنيف ثلاث نماذج أسرية جديدة في الجزائري<sup>(6)</sup> تتمثل في:

**1- نموذج غير منقسم (Le modèle de l'indivision):** يتميز هذا النموذج من خلال اختيار الشريك (Le choix du conjoint) الذي يتم بتدخل عائلي قوي، فالزواج يبقى شئنا عائلنا مرتبط بروابط القرابة والمصاهرة. كما يرتبط التنظيم المنزلي (l'organisation domestique) ضمن هذا النموذج بتقسيم صارم للعمل وفصل للفضاءات بين الجنسين. أما فيما يخص المجال الحميمي فتتحدّد السلوكات بين الجنسين وفقا لقواعد معيّنة تتأسس من خلال التقسيم الأخلاقي للعمل (Division morale du travail).

**2- نموذج الانتقال (Le modèle de transion):** يتسم هذا النموذج من خلال الحراك الاجتماعي الذي لا يؤدي إلى قطيعة مع الوسط الأصلي (le milieu d'origine)، لكنّه يتيح إمكانية الاختيار الحر للشريك، بالإضافة إلى خروج المرأة للفضاء العام كالزيارات وقضاء بعض متطلبات الحياة اليومية، كما يتميّز هذا النموذج بجزء كبير من المرونة داخل التنظيم المنزلي مع الخضوع لمبدأ الحرمة (Principe de la hurma).

**3- النموذج الزوجي (Le modèle conjugal):** يتميز هذا النموذج من خلال قطيعة مع النموذجين السابقين، وذلك من خلال ظهور جيل جديد من الأزواج يتميز بمسارات اجتماعية مختلفة عن الوسط العائلي التقليدي. في هذا النموذج تصبح تمثلات وممارسات الأزواج مخبر لأفكار جديدة حول العلاقات بين الزوجين وحول الرابطة الزوجية.

تتجلى الدراسة الثانية التي اعتمدنا عليها في موضوعنا في ذلك العمل الميداني الذي قام به بيار بورديو (Pierre Bourdieu) حول "الهيمنة الذكورية" التي اعتبرها كعنف رمزي "... ذلك العنف الناعم واللامحسوس واللامرئي من ضحاياهم أنفسهم والذي يمارس في جوهره بالطرق الرمزية الصرفة للاتصال والمعرفة (...)"<sup>(7)</sup>، وذلك من خلال دراسته الأثنوبولوجية للمجتمع القبائلي.

يؤكد بيار بورديو في دراسته على الهيمنة الذكورية والتبعية الأنثوية، وبذلك وضع الذكور كمجموعة اجتماعية مفضلة تمتلك رأسماليا اقتصاديا واجتماعيا ورمزيا في عملية نسيج العلاقات الاجتماعية.

حسب بيار بورديو تتميز مجتمعات البحر الأبيض المتوسط عموما والمجتمع القبائلي بوجه خاص بسلسلة من المعارضات الأساسية مثل: المرأة/الرجل، الداخل/الخارج... تضيفي هذه الثنائيات قيمة مادية ورمزية للجنس الذكوري مقارنة بالجنس الأنثوي وفي نفس الوقت تستبطن هذه المعايير والقيم الاجتماعية والثقافية، حيث تبقى مرسّخة في البنى اللاشعورية لتتجسد في أنماط العيش وأساليب التفكير للأفراد داخل المجتمع.

تعدّ الأطروحة التي قدّمها بيار بورديو تكتّس نوع من الهيمنة الذكورية في الفضاء الخارجي (dehors) ونوع من التقاسم للسلطات في الفضاء الداخلي (dedans).

عرفت الأسرة الجزائرية تغيّرات اجتماعية وثقافية عميقة خلال سنوات التسعينيات من القرن العشرين، حيث ترك سكان الريف قراهم لينتقلوا نحو المدن الكبرى سواء بحثا عن العمل الذي كانوا يفتقدون إليه أو بحثا عن الاستقرار والأمن... أدت هذه العملية إلى إفراغ الأرياف من سكانها، بحيث عمل هؤلاء المهاجرون على إعادة تشكيل أسرهم عن طريق إقامة تجمعات سكانية بضواحي هذه المدن الكبرى. هذه الأخيرة التي عرفت حراكا جغرافيا من ولايات مجاورة، وفي هذا الصدد يشكل: "حقل الحراك رأسمالي من أجل فهم التحولات التي تخضع لتأثير من خلال المجتمع والمجال (...)"<sup>(8)</sup> وهذا ما نحاول أن نتناوله أثناء دراستنا للحراك الجغرافي الذي عرفته بعض الأسر التيارتية (مدرسة وعين كرمس) إلى حي سيدي الشير بضواحي مدينة وهران. هذه الأخيرة أخذت تنمو وتتوسع من جهة، ولكن من جهة أخرى حافظ هؤلاء المهاجرين على روابطهم القرابية التي تربطهم بقراهم فأدى وجودهم إلى ظهور ظاهرة الضواحي (Les périphériques) والتي تبعد بمسافة محددة عن مركز المدينة، والتي تعد المخبر الاجتماعي الكبير الذي يساعدنا على ملاحظة السلوكات البشرية في الوسط الحضري.

يقول روبرت إزرا بارك (Robert Ezra Park) في هذا الصدد: "بأن المدينة كانت تشكل دائما ذلك المصدر الوفير للمواد الكليينكية لدراسة الطبيعة البشرية، لأنها كانت ولا تزال تشكل المصدر والمركز الأساسي للتغير الاجتماعي"<sup>(9)</sup> كما تحمل الضواحي من جهة أخرى بعض الخصوصيات المكونة للجانب المحلي (Le local) هذا الأخير يمثل ذلك "المكان الذي نعيش فيه والذي نتعارف من خلاله، فهو القرية، ومجالها الدوار (douar) ومراعيه، الحي ومبانيه ومجالات التبادل أو الموجهات فيه (...). هو أيضا مجال التجذر والتأصل (الأصل) والانتماء العائلي المكان الذي يوجد به الآباء أو الأقارب، المقبرة، الولي الصالح (الضريح)، الذاكرة والمعالم (...)"<sup>(10)</sup>. كما يربط مركز مدينة وهران بحي سيدي البشير، علاقة تأثير وتأثر مرتبطة بسكانها وذلك في سعيهم إلى تكييف حاجاتهم ومتطلباتهم.

حاولنا من خلال دراستنا الوقوف على تشكيل الضواحي التي عرفتها مدينة وهران، وذلك من خلال تركيز بحثنا على دراسة حي سيدي البشير (Sidi El Bachir) الذي يبعد بـ 15 كلم شرق وهران، حيث يشكل هذا الحي، تجمعا فرعيا عن بلدية بئر الحير (Bir El Djir). عرف هذا الحي هجرة داخلية لعدد من السكان كثير من بينهم من أصل تيارتي كانوا متواجدين بمنطقتي "مدرسة" و "عين كرمس".

يندرج عملنا ضمن هذا الانشغال محاولة دراسة بعض التغيرات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية بين الجنسين لهذه الأسر التيارتية، بعد الانتقال من مجال حضري (منطقة مدرسية وعين كرمس) إلى حي سيدي البشير وهذا من خلال تركيزنا على دراسة المسارات الاجتماعية (Les trajectoires sociales) أثناء عملية الهجرة الداخلية ومن جهة أخرى معرفة ما مدى الدور الذي تلعبه العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في عملية التنشئة الاجتماعية فيما يخص الذكور والإناث يعد تغير نمط العيش من طابع تقليدي إلى طابع حديث نسبيا، وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل الرئيسي التالي:

- ما هي التمثلات والممارسات المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية بين الجنسين من جراء عملية الهجرة الداخلية في التنشئة الاجتماعية للجنسين وعلاقتها بتغير المجال الحضري؟

ومن خلال هذا التساؤل الرئيسي، تتفرع بعض الأسئلة الثانوية:

- هل تغير عملية الهجرة الداخلية في السيرة التي تشكل العلاقات الاجتماعية بين الجنسين لهذه الأسر؟
  - ما مدى تأثير العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في التقسيم الجنسي للفضاء لهذه الأسر (الفضاء الذكوري والفضاء الأنثوي)؟
  - ما دور العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في عملية التنشئة الاجتماعية للجنسين لهذه الأسر (الذكور والإناث)؟
- واستنادا للإشكالية المطروحة، حاولنا معالجة الموضوع من خلال الاعتماد على عدد من الفرضيات، التي تضم بعض مسالك البحث (Les Pistes de recherche) للاقترب من موضوع الدراسة من أجل الوصول إلى بعض النتائج التي قد تثبت أو تنفي هذه مسالك البحث متضمنة في هذه الفرضيات التالية:

- تُغير عملية الهجرة الداخلية في بناء العلاقات الاجتماعية بين الجنسين لهذه الأسر، بعد انتقالها من مجال حضري مدينة تيارت (منطقة مدرسية وعين كرمس) إلى ضواحي مدينة وهران (حي سيدي البشير).

- تؤثر العلاقات الاجتماعية بين الجنسين فيما يخص التقسيم الجنسي للفضاءات بما تتضمنه من فضاءات ذكورية وفضاءات أنثوية من خلال الانتقال من التقسيم الجنسي للفضاءات القوي من خلال ثنائية الداخل والخارج، إلى إقحام الجنس الأنثوي لبعض الفضاءات العامة.

- تؤثر العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في عملية التنشئة الاجتماعية للذكور والإناث وبناء قيم الذكورة والأنوثة. لكل باحث أهداف توجهه نحو غاية يعمل لأجلها، والهدف الأساسي لهذا البحث، يكمن في الوقوف على دراسة تمثلات وممارسات المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية بين الجنسين، من خلال التركيز على دراسة المسارات الاجتماعية (Les trajectoires sociales) لبعض الأزواج الذين ينتمون إلى الأسر التيارتية (منطقة مدرسية وعين كرمس) من خلال الكشف عن بعض التغيرات الاجتماعية والثقافية خلال فترة قبل وبعد عملية الهجرة الداخلية لهذه الأسر، وانتقالها إلى حي سيدي البشير ومدى دورها في تغيير طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين.

نشير في هذا السياق، أنه على الرغم من وعينا بصعوبة الإحاطة بكل جوانب موضوع العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، فإننا أقدمنا على ذلك وحاولنا تركيز انشغالنا على بعض نواحي هذا الموضوع من خلال التطرق إلى التقسيم الجنسي للفضاءات بما تتضمنه من فضاءات

ذكورية وفضاءات أنثوية أو ما يعرف بالفضاء العام: "مكان التجمع، أو السوق المخصصة للرجال"<sup>(11)</sup> والفضاء الخاص، هذا الأخير الذي يشير إلى ذلك "الفضاء مبني على أساس علاقات بين شخصين مرتبطين أولاً من عقد الزواج، ويعرفان مثل زوج (un couple)"<sup>(12)</sup>.  
دوافعنا الدراسة لهذا الموضوع، راجعة لأسباب متعددة، منها أسباب ذاتية وأخرى موضوعية. فمن الأسباب الموضوعية المحركة للقيام لهذا البحث، طموحها من خلال هذا الموضوع بإثراء في مجال علم الاجتماع النوع (Genre)، وذلك بدراسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، هذه الأخيرة التي عرفت في السنوات الأخيرة تغييرات اجتماعية وثقافية، مستتة تمثلات وممارسات الفاعلين الاجتماعيين في المجتمع الجزائري. ومن الأسباب الذاتية لاختيارنا لدراسة الموضوع، وخاصة اختيار مجال الجغرافي بحى سيدي البشير، بحكم أننا نعيش في هذا الحى، أما سبب اختيار الأسر التيرانية وذلك لكوننا نتمنى إلى هذه المنطقة. سمح لنا طابع الجوار (La Proximité) بتسهيل نسبياً عملية الاتصال والمتابعة بمجتمع البحث وخلق العلاقة الضرورية للقيام بدراستنا.

حاولنا في هذا الصدد، أن نكشف عن المعاني والدلالات التي تنطوي عليها ممارسات وتمثلات المبحوثين، والتي لا يمكن الوصول إليها إلا بالتأويل والتفسير، (...) وهكذا فإن مهمتنا المزدوجة هي الكشف عن البنى المفهومية الكامنة خلف أفعال الأشخاص الذين نهم بدراستهم، أي "المقول" في الخطاب الاجتماعي، وفي بناء نظام للتحليل تبرز إطاره المميزات المكونة لهذه البنى أي ما يتعلق بهم بوصفهم ما هم عليه أي تبرز إزاء المحددات الأخرى للسلوك البشري (...) "<sup>(13)</sup>.

لم يتسن لنا اختيار موضوع البحث وتحديده، إلا من خلال قراءة أهم المراجع من منظور أنثروبولوجي وسوسولوجي، باعتبارها عناصر بيبليوغرافية، من أجل إقامة علاقة الألفة (Familiarité) بموضوع الدراسة. بالإضافة إلى الاستفادة من مختلف نتائج الدراسات والتحقيقات الميدانية الاجتماعية والثقافية من بينها ما قام بها (Le CRASC)، بالإضافة لتلك التوجيهات من خلال المتابعة المنهجية من طرف عدد من الأساتذة أثناء الورشات المنهجية (Les ateliers méthodologiques) كونها سند موجه، ومشجع لنا، في تحديد الموضوع من أجل محاولة استنطاق الواقع المعاش ميدانياً.

#### ثانياً: المقاربة المنهجية وتقنيات البحث المستعملة:

تستخدم العلوم الاجتماعية، مجموعة من المناهج العلمية المختلفة، لدراسة بعض الجوانب المتعلقة بالواقع الاجتماعي بهدف إنتاج المعرفة، ويرجع استخدام أي نوع من هذه المناهج على حسب نوع البحث وإشكالية الدراسة المطروحة.  
وفي هذا الصدد اعتمدنا في دراستنا على المقاربة السوسيو- أنثروبولوجية، باعتبارها تشمل دراسة متعددة الأبعاد لمعالجة الواقع الاجتماعي المعاش، وفي هذا الصدد يقول عادل فوزي (Adel Faouzi) : "إذا كان الأمر كما يقول كوفمان (J.C Kaufmann) " باستطاعة الإنسان العادي أن يعلمنا الكثير " فإنه يترتب عن ذلك على المستوى المنهجي كثير من النتائج وبالخصوص تلك المتعلقة بممارسة ما يمكن ترجمته " التعاطف مع الآخرين (l'empathie) بمعنى تنمية استعدادات تسمح باكتشاف " معرفة " اجتماعية يحملها الأفراد. ولا ينبغي اعتبار المعرفة العامة " لا معرفة "، ذلك لأنها تقدم قيمة علم اجتماعية معتبرة مادامت تنطلق من معرفة علمية أو تطبيقية تزج الستار عن مصطلح واستراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين"<sup>(14)</sup> وهذا من خلال منظور تركز فيه على تحليل تمثلات وممارسات الفاعلين الاجتماعيين، من خلال دراسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، وتحليل سيورة البناء الاجتماعي للذكورة والأنوثة. وتظهر "السوسيوأنثروبولوجيا تمايزاً عن السوسولوجيا الكمية ذات القاعدة البحثية الثقيلة وذلك باستعمال الاستمارات، تظهر سوسولوجيا الميدان مع الأخذ بعين الاعتبار سلوكيات الفاعلين الاجتماعيين"<sup>(15)</sup>.

ولكن قبل ذكر خصائص المبحوثين، وعرض مجريات البحث الميداني، الذي استغرق ستة أشهر، لا بد من الإشارة إلى مرحلة الدراسة الاستطلاعية.

استغرقت الدراسة الاستطلاعية الأولى خمسة عشر يوماً، سمحت لنا هذه المرحلة بتحديد عناصر مفتاحية (Les éléments clés) وأبعاد مهمة لدراستنا، وكذلك التعريف بمواصفات المبحوثين من كلا الجنسين، قمنا في هذه المرحلة، بإجراء مقابلات حرة معهم وذلك من خلال التعريف بموضوعنا بشكل بسيط، من أجل إقامة علاقة الثقة والألفة (Familiarité) مع المبحوثين.

كما اعتمدنا أثناء دراستنا، على استخدام (Le journal d'enquête)، حيث لم نتردد في تسجيل كل المعطيات الميدانية المهمة لموضوعنا وكذلك بتسجيل الوقائع والأحداث (التاريخ- المكان).

فيما يخص المواصفات الخاصة بالمبحوثين<sup>(16)</sup>، الذين يشكلون الأزواج (Les couples) من الأسر التيارية يعود أصلهم اجتماعي إلى منطقتي مدرسية وعين كرمس انتقلوا بضواحي وهران في سيدي البشير. فيما يتعلق بالرجال، تتراوح أعمارهم ما بين 50-60 سنة، كما ينتمون إلى نفس المهنة السابقة عمال زراعيين (Les ouvriers agricoles) كانوا يزاولونها في منطقتهم الأصلية، ثم عرفوا نوعا من الحراك المهني بممارسة مهنة البناء بعد انتقالهم إلى حي سيدي البشير في سنوات الثمانينات. أما المستوى التعليمي لكلا الجنسين فهم لا يعرفون لا القراءة ولا الكتابة. أما فيما يخص النساء فهن ماكنات في البيت لكن يزاولن عملا غير رسمي من خلال نشاط الخياطة وبعض الصناعات الحرفية. أما فيما يخص عدد الأطفال للمبحوثين فيتراوح ما بين 4 إلى 7 أطفال، ويرجع هذا الارتفاع في عدد الأطفال لهذه الأسر الريفية لكونها تشجع على الزيادة في الإنجاب، وعدم التحكّم في تنظيم النسل. كما يظن مجموع هذه الأسر، على أربعة أسر مصغرة لأزواج من فئة الشباب، تتراوح أعمارهم ما بين 28-40 سنة، أما نوعية مهنتهم فهي متنوعة (عون في شركة عمومية، مقاول...).

لم نهدف من خلال دراستنا، التركيز على الجانب الإحصائي الذي يتطلب التمثيل (العينة التمثيلية) والتكميم، بل سعينا وراء فهم تمثلات وممارسات مرتبطة بالعلاقات الاجتماعية بين الجنسين من خلال اعتماد على دراسة حالات (Étude de cas) للأزواج (Les couples) لثلاث أسر تيارية تضم في مجموعها على أربعة أسر مصغرة لأزواج من فئة الشباب وهذا ما جعلنا نعتمد على الاقتراب الكيفي (L'approche qualitative) الذي يهدف لفهم ظاهرة ما من خلال التركيز على معنى الأقوال التي يجمعها الباحث أو السلوكات التي يلاحظها، يعتبر المنهج الكيفي "استراتيجية في البحث، يستعمل تقنيات جمع وتحليل نوعية من أجل هدف، شرح وفهم السلوك الإنساني"<sup>(17)</sup>.

يتطلب هذا المنظور الكيفي، استخدام الملاحظة المباشرة وهي "... (نفسها تتضمن عملا ثلاثيا من التصور (Perception) وعملية تخزين في الذاكرة (Mémorisation) والتدوين (Notation)...)"<sup>(18)</sup>.

اعتمدنا على الملاحظة المباشرة، للوقوف عن قرب من مواقف وتصرفات المبحوثين أثناء قيامنا بملاحظة المبحوثين سجلنا مختلف حركاتهم وإشاراتهم وسلوكاتهم، بالإضافة إلى استغلالنا فرصة تواجدها بإحدى بيوت المبحوثين، حيث قمنا بملاحظة الفضاء المنزلي ومختلف النشاطات المنزلية التي تزاولها المرأة وعلاقتها بالجيران. كما قمنا بملاحظة على أيدي ووجوه المبحوثين (كلا الجنسين) رسوم من الوشم، وهذا مؤشر على مدى ارتباطهم ببعض تقاليد وعادات السائدة في المجتمع التقليدي.

كما اعتمدنا على المقابلة نصف الموجهة، مع الأزواج (Les couples) لهذه الأسر التيارية فهذه التقنية لها "القدرة على إنتاج المعطيات الكلامية"<sup>(19)</sup>، حيث يتم فيها تبادل حقيقي بين الباحث والمبحوث، هذا الأخير يعبر من خلال هذه التقنية عن إدراكات ومواقف المبحوثين.

تمت هذه المقابلات مع الرجال في مختلف الفضاءات العمومية التي يهيمن عليها الذكور، أما بالنسبة للنساء، فجرت مقابلة المرأة مع إحدى هذه الأسر داخل البيت، أما بالنسبة لبقية الأسر، تم إجراء مقابلات مع النساء في بعض الفضاءات العامة (محطة انتظار الحافلة) وهذا الصعوبة إجراء مقابلة داخل الفضاء المنزلي. استغرقت مدة هذه المقابلات من ساعة إلى ساعة ونصف. كما تم تقسيم دليل المقابلة إلى أربعة محاور: بنية الأسرة - الأدوار بين الجنسين - الهجرة الداخلية والرابطة الاجتماعي في الضواحي.

ومحاولة منا للإحاطة بجوانب الموضوع المدروس، ومن أجل الاقتراب من تمثلات وممارسات الأزواج من الأسر التيارية. رأينا من الضروري معالجة موضوع بحثنا هذا، في ثلاثة فصول، وكل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث.

### ثالثا: بعض النتائج الميدانية المتوصل إليها:

ومن النتائج المتوصل إليها في هذا الدراسة ما يلي:

انصرفت الدراسة التي قمنا بها، إلى محاولة فهم سيورة تكوين الزواج وذلك من خلال الكشف، عن تأثير الهجرة الداخلية في اختيار الشريك. فاتفق لنا أن اختيار الشريك لدى المبحوثين قبل الهجرة الداخلية، كان يتم من خلال تدخل الوالدين، وخاصة العائلة الموسعة. كما أدت الاستقلالية النسبية للأزواج إلى التقليل من اعتمادهم بصورة كلية على العائلة الموسعة.

ساعداً البحث الميداني، من التقرب من تمثلات المبحوثين فيما يخص العوامل التي دفعتهم إلى الهجرة الداخلية. فبيننا لنا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية، تعد من بين العوامل المفسرة لهذه الظاهرة. ولكن برغم من أهمية هذه العوامل، إلا أنها غير كافية لتفسير الحراك

الجغرافي لهؤلاء الباحثين، وذلك لأن سيرورة عملية الهجرة الداخلية تتدخل فيها عوامل أمنية، وهذا بحثا عن الاستقرار الذي كانوا يفتقدونه في السابق، وهذا الموقف يتعزز عند جل الباحثين.

ساعدتنا هذه الدراسة، على البحث في العمل المأجور من فهم منطق الاجتماعي للممارسات الاجتماعية بين الجنسين. حيث ارتبط العمل المأجور لدى الباحثين الذكور بفاعلية كسب القوت والإنفاق على أفراد الأسرة. هذا الأخير، الذي يكلف به الرجل يعد وسيلة فعالة لفهم التمثلات السائدة للذكورة.

لقد تبين لنا من خلال دراستنا، الدور الذي تلعبه التنشئة الاجتماعية في تلقين مختلف المهام والنشاطات المنزلية لدى الباحثات، اللواتي اكتسبن ذلك من خلال عملية الاستبطان التي تم تلقينها من طرف الأم ونساء العائلة الموسعة.

أفضى بنا البحث في دراسة، ممارسات الوقت الحر والطرق المستعملة لاستثماره من طرف الباحثين أثناء حياتهم اليومية إلى الكشف أن الوقت الذي تقضيه بعض الباحثات، يتم من خلال الزيارات العائلية والتي تأخذ القسم الأكبر من حياتهن اليومية، وبذلك تساهم هذه الروابط العائلية في تقوية الروابط الاجتماعية فيما بينهم.

كما قادنا هذا البحث، في معرفة مدى تأثير العمل غير الرسمي في العلاقات الاجتماعية ما بين الجنسين، وأهميته بالنسبة للمرأة إلى اكتشاف أن الهدف من مزاوله هذا النوع من العمل لدى بعض الباحثات كان وسيلة لتحسين وضعيتهن الاجتماعية والاقتصادية. بينما ساعد البعض الآخر من الباحثات من تقوية علاقات الحوار بين النساء.

الهوامش:

- المقال مستوحى من أطروحة ماجستير في الأنثروبولوجيا، الموسومة "العلاقات الاجتماعية بين الجنسين: هجرة العائلات التيارية إلى سيدي البشير حي بضواحي ولاية وهران". من إعداد الطالب خيراني نورالدين، تحت إشراف الدكتورة بن غريظ رمعون نورية، جامعة وهران، 2012.
- 1. Bourdieu, P., « *A Propos de la famille comme catégorie réalisée* », in Actes de la Recherche en Sciences Sociales, N° 100, France, décembre 1993, p. 33.
- 2. انتوني عدنز، بمساعدة كارين بيردسال، علم الاجتماع (مع مداخلات عربية) ترجمة وتقديم فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، الطبعة الرابعة، 2005، ص.190.
- 3. أمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية "دراسة جنديرية"، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص.11.
- 4. Joan W. Scott., « *Le genre : une catégorie d'analyse toujours utile ?* », (Traduit de l'Anglais par Nicole G. Albert). In revue Diogenè, N° 225, France, Janvier-Mars, 2009, p. 8.
- 5. سالم لبيض، "الجنوسة والنوع (الجنادر) في الثقافة العربية": في المستقبل العربي، بيروت، العدد 348، السنة 30، فبراير 2008، ص.41.
- 6. Bourqia, R., Charrad, M., et Gallagher, N., (Sous la direction de), *Femmes cultures et société au Maghreb 1-culture, Femmes et famille*, Ed Afrique Orient, Casablanca, 2000, p.148.
- 7. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص. 16.
- 8. Abed, Bendjelid., « *Texte introductif : Réalités contemporaines de l'aménagement des villes algériennes* », in Abed, Bendjelid., (sous la direction de) ville d'Algérie Formation, Vie urbaine et aménagement, Ed. CRASC, Oran, , 2010, p. 16.
- 9. Grafmeyer, Y., Joseph, I., *L'école de Chicago, Naissance de l'écologie urbaine*, Flammarion Paris, 2004, p. 177.
- 10. Chaulet, C., « *Le « local » l'origine et le terme* » Insaniyat revue Algérienne d'Anthropologie et de Sciences Sociales, N 16, Oran, Janvier- Avril, 2002, (vol, VI,1) CRASC, 2002, p. 15.
- 11. بيار بورديو، مرجع سبق ذكره، ص.27.
- 12. Benghabrit Remoun, N., « *Violence dans l'espace privé ou le couple dans le tourmente* » in Enquête Nationale de Prévalence sur les violences envers les femmes en Algérie, Analyse des résultats, étude réalisée par le CRASC pour le compte du Ministère délégué chargé de la famille et la condition féminine et UNIFEM, 2006, p.45.
- 13. كليفور غريز، تأويل الثقافات: مقالات مختارة ترجمة محمد بدوي مراجعة الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص.122.
- 14. عادل فوزي، "علم الاجتماع الأنثروبولوجي"، ترجمة العياشي عنصر، في عادل فوزي (تحت إدارة)، علم الاجتماع الأنثروبولوجي أو كيف نعيد تفكير المنهج؟، دفتر رقم 1-2001، وهران، منشورات CRASC، 2000، ص. 21.
- 15. Jean Pierre, Olivier de Sardan., *Anthropologie et développement : essai en socio- anthropologie du changement social*, Ed Karthala, Paris, 1995, p.10.
- 16. لمزيد من التفاصيل فيما يخص الموصفات الخاصة بالباحثين، أنظر الجدول الذي يوضح المميزات العامة للباحثين في الملاحق الموجودة في مذكرة الماجستير.
- 17. Mucchielli, Alex., *Les méthodes qualitatives*, P.U.F, Paris, 1991, p. 91.
- 18. Beaud, Stéphane., Weber, Florence., *Guide de l'enquête de terrain*, Ed La Découverte, Paris, 1997, p.139.
- 19. Blanchet, A., Gotman, A., *L'enquête et ses méthodes : l'entretien*, Ed Nathan Université, Paris, 1992, P.40.